قال معارضاً لها :

إنَّ الذَّوائِبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنّاس تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كُلُّ مَنْ كانَتْ سريرَتُهُ تَقْوَى الإلَهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا
قومٌ إذا حارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أو حاوَلُوا النَّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ منهم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إنَّ الخلائِقَ – فاعْلَمْ – شَرُّها البِدَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لا يَطْبَعُونَ و لا يُرْدِيهُمُ طَمَعُ
لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بِفَضْلِهِمُ ولا يَمَسُّهُمُ من مَطْمَعٍ طَبَعُ (١)

وختمها بقوله :

أكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسولُ اللّهِ شِيعَتُهُمْ إذا تفاوَتَتِ الأهْوَاءُ والشِّيَعُ
أهْدَى لهم مِدْحَتي قَلْبٌ يؤازِرُهُ فيما أحَبَّ لِسَانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحياءِ كُلِّهِمُ إنْ جَدَّ بالنّاس جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعُوا (٢)

وفي هذا الخبر ما يُصوِّر التّناقض بين الطّبيعة البدويّة الخشنة الجافية التي أتى بها هؤلاء الأعرابُ ليفاخروا الرّسول بعلوّ أصواتهم ، وبُعدهم عن التأدُّب، وطبيعة مجتمع المدينة الذي هذّب الإسلامُ خُلقَ أهله ، وجعلهم يعتدّون لا بالمال ولا بالسّطوة والغلبة ، وإنما بالحقّ والهداية . وفي هذه الواقعة نزلت آية سورة الحجرات « إن الذين يُنَادُونَكَ من وراء الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يعقلون » (سورة الحجرات ، آية ٤) . وعلى الرّغم مما نذكره من ذلك الجفاء البدويّ الذي قدم به هذا الوفدُ من سادة تميم وفزارة ، فقد كان القوم لا يَخلون من ذكاء ورجاحة عقل ، مما يدلُّ عليه تعليق أحد زعمائهم ؛ وهو الأقرع بن

(١) الذوائب : الرءوس والسادة ، ويعني بِفِهر قريشاً ، ولا يطبعون : لا يدنسون ، ويرديهم : يهلكهم ، والطبع : الدّنس .

(٢) يعني باللسان الصنع : الذي يحسن القول ويجيده ، وشمعوا : هَزِلوا .